مخطوطة(لطف التدبير) للخطيب الإسكافي
(الباب السابع والباب الثامن)

أ.د. علي حداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

(خلاصة البحث)

يمثل التراث العربي الذي ما تزال كتبه مخطوطة لم تطلها يد التحقيق العلمي الجاد ثروة علمية وأدبية مهمة جديرة بالتدارس والاهتمام لما يمكن لها أن تكشفه من جوانب في تراثنا وتاريخ أسلافنا لما تزل غير مكتملة المعالمْ وهذه المخطوطة - التي نتناول بابين منها - واحدة من المخطوطات الأدبية الجديرة بالقراءة لما فيها من أخبار ووقائع وتجارب مرت في تاريخ الإنسانية عامة .

وقد سعينا الى تطبيق الأسس العلمية للتحقيق عليها من خلال إعادة قراءتها وتصحيح ما وجدناه فيها مما يحتاج الى ذلك وعرفنا بالأعلام الواردين فيها، وشرحنا دلالة المفردات وأسماء المدن معتمدين في ذلك على مصادر عدة أمدتنا بما أعوزنا من المعلومات.

لقد أردنا من تحقيق هذا الجزء من المخطوطة أن ن نجز جملة غايات ، هي ذاتها التي لابد لمن يتصدى لتحقيق أي كتاب من تراثنا أن يضعها نصب اهتمامه ، وتتمثل في :

- مسعى خدمة تراثنا العربي والتذكير بما فيه من عطاء جدير بالاستعادة والتدارس العلمي الجاد.
- التنبيه والإشارة إلى نمط من التأليف الذي يمكن مجاراته في الكتابة الثقافية الراهنة.
- التذكير بجهد تأليفي تراثي جدير بالاستذكار والقراءة.
- تطبيق آليات التحقيق وإجراءاته العملية على عينة من مخطوطة تراثية مهمة.

ـ دعوة كثير من الباحثين لمحض هذا المجال المعرفي بعضاً من اهتمامهم البحثي، بما يضيف إلى ممارساتهم العلمية خبرة محايثة لجهدهم في الكتابة المنهجية الطموح .

على سبيل التقديم:

تنال هذه المخطوطة قيمتها من خلال ما تضمنته من وقائع وأخبار عن مواقف وسلوكيات استوعبتها صفحات التاريخ الإنساني بعامة والعربي منها بخاصة لها دلالات ذات توجيه قيمي يعكس مواقف مختلفة ، فيها ما هو خيّر وما هو بالضد منه وهذه المواقف يمكن لما يماثلها أن يتكرر في سياقات الممارسة الإنسانية اللاحقة حتى عصرنا الراهن ، ولاسيما تلك المتعلقة منها بالسلوك الذي أتبعته أسماء مهمة في تاريخنا الإسلامي ـ وكذلك لدى الأمم الأخرى ـ في العصور التي سلفت في ممارسات سياسية أو اجتماعية تطلبت اتخاذ الخيار الذي لا يتجاوز أمرين، إما الموقف المبدئي وتحمل تبعاته أو الموقف النفعي الذي تتحقق من خلاله غايات ذاتية ضيقة الأفق ، عكست نزوع الهيمنة بشتى وسائلها الممكنة، عبر سلوك (براغماتي) يبرر شرعيته بما حققه من غايات ومطامح لتلك الشخصية التي تبنته ، ونالت حظوة الذكر من خلاله . لقد بدت مضامين تلك الوقائع استعادات لمواقف دلت على تبن لنزعة شخصية في اتخاذ القرار المناسب الذي يعكس مقدرة عالية من الحكمة والذكاء ، وكذلك الدهاء الذي يحقق مقاصده ببرودة أعصاب وتفكر عميق.

إن ما يحتويه هذا الكتاب مقادير كبيرة من المراجعات عميقة الدلالة للتاريخ وتخير لما يدل على وعي وممارسة قيمية تعكس طبائع الشخصية وسلوكها الذي توثق لها في التاريخ بأبعاده العامة والشخصية .

وما نود أن نشير إليه في آخر هذا الحيز من البحث هو إن تحقيق أي كتاب تراثي مخطوط ليست عملية اعادة كتابة لمخطوطته بنمط حديث من الحرف والتنسيق والتراتب يمكن من خلالها قراءته بيسر ، لتجاوز ما يمكن أن يكون نسخها قد وقع فيه من تشويه ، أو اختلاف بين نسخها ، أو صعوبة

قراءة الخط الذي كتبت فيه. إن تلك المهمة هي أبسط ما يمكن للتحقيق أن ينشغل به ، والذي يستطيع أي متعلم القيام به ، بمجرد وضع المبادئ الأولية بين يديه.

ولكن التحقيق أكبر من ذلك وأبعد مقاصد وغايات ، فهو عمل يتجاوز ميكانيكية الجهد إلى مقاصد من الاشتغال المنهجي الذي يشتمل على كثير من الجد والصبر والمثابرة ، من حيث قراءة المخطوطة وإعادة كتابتها وضبطها بالشكل ، ووضعها في مستوى عال من الدقة والضبط الكتابي واست عمال أدوات الترقيم المناسبة . وقبل ذلك المطابقة بين ما تَّم التوافر عليه من نسخ المخطوطة وترتيبها بحسب تاريخ نسخها واختيار أقدمها ، أو تلك التي يمكن الاطمئنان بأنها كاملة منها، لتكون هي أساس الاشتغال ومنطلقه الذي يجري من خلاله المطابقة بين نسخ المخطوطة واختيار الصورة المنطقية والمقنعة لها، لتأتي بعد ذلك عدة إجراءات منهجية ، تتمثل بترتيب المخطوطة وتقسيمها بحسب أبوابها وفصولها ، ثم وضع الهوامش التي تقف شارحة أو معرفة لكل ما في المخطوطة من ألفاظ تحتاج إلى الإبانة عن دلالاتها، وتعريف واف بالأعلام الواردة ، وكذلك الأماكن والمواقع والبلدان، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ، ونسبة الأشعار الواردة في المخطوطة إلى دواوين الشعراء التي أخذت منها ، مثلما يجري ـ وقدر الإمكان ـ نسبة الآراء والأفكار المقتبسة إلى مصادرها الأولى التي استمدها صاحب المخطوطة منها.

إن هذه الممارسات المنهجية المتعددة هي انعكاس لخبرة الباحث ودأبه وصبره ودقة المتابعة والتقصي ، وهي الصفات التي لابد لمن يتصدى للتحقيق أن يتوافر عليها.

لقد أدرك كثير من أساتذتنا ما في التحقيق من مكابدة علمية لا يمكن تحقيق مقاصدها بالنوايا الطيبة بل بالتوافر على اشتراطات عالية التوصيف.وفي ذلك يقول الدكتور علي جواد الطاهر: " إن دراسة المخطوط مهمة صعبة...لأنها عمل قائم بذاته "[1] ويضيف : " وللتحقيق أصوله وقواعده ومتطلباته ... ولا تقدم على ذلك إلا إذا كنت مطمئناً إلى صبرك ووقتك وعلمك "[2]. وهي الرؤية

ذاتها التي أكدها الدكتور (شوقي ضيف) الذي رأى إن تحقيق أي كتاب: " ليس عملاً هيناً يسيراً، بل هو عمل شاق مرهق، إذ تمتد فيه صعاب تكاد لا تحصر... وهي صعاب ما تزال تأخذ بخناق المحققين للكتب والدواوين ، وما يزالون ينفقون في تذليلها الأعوام الطوال ، حتى يستطيعوا أن يستخلصوا من نسخ الكتاب الذي يحققونه نصاً نقياً صافياً مهيئاً ، لينتفع به الباحثون "[3].

لقد وضعنا ذلك كله أمامنا ونحن نسعى إلى دراسة هذا الجزء من المخطوطة وتحقيقه، جاعلين من مسعانا هذا تجربة بحثية نحرص على أن تأتي بمستوى مرضي من الجدية.

جاء هذا البحث في قسمين: الأول، ووضعناه في مبحثين، تناولنا فيهما ما عنَّ لنا من معلومات عن مؤلف المخطوطة، من حيث اسمه ولقبه وكل ما توافرنا عليه عن شخصيته، ثم المخطوطة وما لها من مواصفات وطبيعة حرف وكتابة.

أما القسم الآخر، فكان منصباً على تحقيق البابين (السابع والثامن) من المخطوطة ، متبعين في ذلك المنهجية البحثية التي ينبغي تبني إجراءاتها وخطواتها في التحقيق .

القسم الأول ـ الدراسة

أولاً: المؤلف

مؤلف هذه المخطوطة ـ كما ثبت على صفحتها الأولى ـ هو(الخطيب الاسكافي). ولا تكاد المصادر التي ترجمت لحياة هذا المؤلف لتذكر كثيراً من المعلومات عنه ، فهي تتواتر على استعادة معلومات مقرورة ومبتسرة عنه ، إذ يرد فيها أن اسمه هو(محمد بن عبد الله) ، وكنيته (أبو عبد الله) ، ولقبه (الخطيب الاسكافي)[4]. وتضع في تعريفه ما تجمع على القول فيه بأنه عالم بالأدب واللغة ، وأنه من أهل (أصبهان)[5]. كان اسكافياً ، ثم خطيباً بالري . أما ولادته ونشأته فليست هناك من إشارات إليها. كما لا نجد أية إشارة إلى أساتذته ومن تتلمذ على أيديهم، مثلما لا نجد من يذكر له من درس على يديه أو

اتصل به من اللاحقين . أما وفاته فأشير إلى أنه توفي سنة (420هـ - 1029م) وقيل غير ذلك[6].

ولنا أن نستغرب من قلة المعلومات عن هذه الشخصية التي تشير مؤلفاتها - ذات العنوانات اللافتة للانتباه ، والمتوزعة في أبواب لغوية وأدبية مختلفة - إلى سعة معرفية وإمكانات ثقافية واضحة النضج ومقدرة عالية في التأليف ، وسعة اطلاع وتقص للأخبار والوقائع والأحداث .

ونود أن نشير هنا إلى قضية طريفة تتعلق بلقبه (الخطيب) الذي كثيراً ما اختلط بآخر أشهر منه هو (الخطيب البغدادي) (وهو أبو بكر أحمد بن علي) صاحب كتاب (تاريخ بغداد) ، حتى لقد ذهب بعض الباحثين إلى نسبة كتاب (لطف التدبير) إليه[8] .

ألف (الخطيب الإسكافي) عدداً كبيراً من الكتب، وصل منها إلينا[7]:

١. **مبادئ اللغة (مطبوع)**
٢. **نقد الشعر**
٣. **درة التنزيل وغرة التأويل (مطبوع)**
٤. **في الآيات المتشابهة**
٥. **غلط كتاب العين**
٦. **الغرة في بعض ما يغلط به أهل الأدب**
٧. **لطف التدبير في سياسة الملوك** ، وهو الذي مخطوطته بين أيدينا .

وإذ لم نقف على ما يكفي من المعلومات عن شخصية الخطيب الإسكافي فلعل في حصيلته من المؤلفات مارة الذكر ما يمكننا من أن نستشف منه ما يعبر عن أبعاد شخصيته العلمية. فكتبه ذات الوجهة اللغوية تدل على مقدرة عالية في دراسة اللغة ومعاجمها ، ولعل في قوة شخصيته وعمق معرفته ما جعله يتصدى لمعجم (العين) الذي وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ليبين عن أغلاطه. ومثلها ما كان له في نقد الشعر وتصديه لبعض ما يغلط به أهل الأدب وكذلك تصديه لعلوم الفقه والتأليف فيها.

إن قلة المعلومات عنه تدل على أكثر من أمر، فربما كان هذا العالم والأديب ممن لا يرغبون في الشهرة ، لانشغالات توجه إليها ، أو نتاج نزعته العلمية الخاصة التي نأى فيها أن يكون في خدمة الأمراء والسلاطين وبطاناتهم أو يكون السبب ابتعاده عن التواصل مع علماء مرحلته وأدبائها ، الأمر الذي غيب ذكره في مؤلفاتهم. ولعل في عدم وجود إشارة إلى أي من الدارسين الذين تتلمذوا على يديه ، أو أخذوا منه ، ما يمكن إضافته لتبرير ابتسار ما وصلنا من أخباره.

ثانياً: الكتاب (9)

هذا الكتاب مجموع نقول وأخبار رتبها المؤلف بحسب ما ارتآه لها من وحدة موضوعاتية ونزعة تأخذ طابع النصح والإرشاد ومسعى الاستفادة من الك الوقائع خبرة ثقافية لمن أراد منها ذلك

كما أنها تحمل سمة التوثيق التاريخي المتسع لوقائع من عصور مختلفة.

لقد تنقل المؤلف بحرية تامة بين الوقائع ، ولم يخضعها لتنسيق تاريخي متسلسل بل اعتمد في منهجه على وحدة الموضوع وتقارب الوقائع في الحيز القيمي الذي يريد ايصاله منها.

ـ استعمل مصطلح (الباب) لكل جملة وقائع تشتغل على ثيمة تعبيرية واحدة . ويبدو أن مصطلح الباب عنده لا يحمل الدلالة ذاتها التي نقصدها اليوم، فلعله يعني به مجموع الوقائع التي تعالج شأناً واحداً متقارب الوقائع وما تنشغل في التعبير عنه.

ـ لم يتدخل في الأخبار أو يعلق عليها أو يبدي مجادلة أو تأثراً يميل إلى هذا الأمر أو ذاك منها.

ـ كان ينقلها على أنها مسلمات سردية مكتملة وغير قابلة للجدل والمناقشة.

ـ لم يتبع أسلوب العلماء المعاصرين له في وضع سند من الأسماء أو سلسلة رواة للواقعة التي يتحدث عنها ، كالذي فعله (أبو فرج الأصفهاني) في كتاب

(الأغاني) مثلاً فالإسكافي يكتفي بمتن الخبر وحده ، ولا يشغل نفسه بسنده. ولعل ذلك يحيلنا إلى استعادة ما قلناه عن مقاصده من الكتاب .

لقد بدا لنا أن هذا المؤلف لا يريد أن يحضر كثيراً بين ما يورده من تلك الوقائع. وذلك جزء من قناعته بتغييب حضوره ، أو الإيجاز قدر الإمكان فيه ، كالذي صنعه في مقدمة كتابه التي لم تتجاوز الأسطر التسعة ، حيث وردت على النحو الآتي : (10)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الله واجب قبل كلام، ومنحة العقل فوق كل إنعام. وما بعد كتب الله المنزلة على أنبيائه صلوات الله عليهم. وبعد جوامع كلمهم أشرف من ثمرات العقول التي يرثها الآخر عن الأول ، ويستند بها من الدين إلى المعلوم الأفضل، ويتسنم بها للدنيا صهوة الأمر المعضل عند سياسة العباد وعمارة البلاد . فمد الوادي من سيل التلاعات ، وفيض الأنهار في سبل القطرات. وإن كان في الناس من يؤيده الله من صواب الرأي بما يغنيه عن استمداد ، ويوفقه حتى لا يحتاج في قراع الخطوب إلى استعداد. فتكاثر الأنوار على المبهمات أنفع، ولظلام الشبه أدفع والله يهدي قلوب أوليائه، ويشحذ بصائرهم على أعدائه بمنه . وهذا المجموع اثنان وثلاثون باباً ، مختومة بباب في ضروب مختلفة.

إن من يتأمل هذه المقدمة ستند أمامه جملة قناعات ، منها نزوع الإيجاز الشديد الذي تبدو عليه ، فكما هي تفصيلات حياة هذا المؤلف الجليل نزرة ومبتسرة فقد جاءت مقدمته لكتابه كذلك .

وعلى حد ما ورد فيها من أفكار نستطيع أن نضعها في قسمين الأول الذي يشتمل على صيغة من الحمد بالغة الإيجاز، لينتقل بعدها الى تمجيد مكانة العقل وما ينتجه من (ثمرات) لابد من تواتر حضورها واستعادتها من جيل إلى آخر ، وتلك هي بيت القصيد كما يقال والغاية التي أسس عليها الخطيب الإسكافي كتابه ، في رغبة منه لأن تكون نقولاته من الأخبار والوقائع ذات غايات من التأمل والعظة الراشدة إلى أفضل سبل السلوك وأقومها .

القسم الثاني: التحقيق [11]

قام منهجنا في قراءة المخطوطة على الخطوات الإجرائية الآتية :

ـ قراءة الفصول التي نسعى إلى تحقيقها من المخطوطة التي بين أيدينا بدقة، وإعادة نسخها، وتصحيح ما وجدناه فيها من أخطاء ينبذها سياق الجملة، أو ما كان منها تصحيفاً وقع فيه ناسخ المخطوطة.

ـ تخلو المخطوطة ـ وكما هو معهود في مخطوطاتنا العربية ـ من علامات الترقيم، ولذلك فقد قمنا بوضعها في أماكنها المناسبة منها.

ـ اخرجنا الكلمات التي تحتاج إلى شرح أو تحديد دلالة .

ـ عرفنا بالأعلام والأماكن والبلدان، بقدر ما يتوفر لدينا عنها من أخبار ومعلومات.

ـ ناقشنا ما وجدناه جديراً بذلك من الوقائع والأحداث ، مستعينين بموثوقية ما روته كتب التاريخ المعتبرة عن الواقعة ذاتها .

المخطوطة:

الباب السابع: في كسر الجيوش وتفريق كلمتها

حكي أن قسطنطين [12] ملك الروم [13] ملكهم حتى كبرت سنه وساء خلقه وظهر به وضح [14] شان وجهه [15] فأرادت الروم خلعه ، وقالت : حسبك [16] من الدنيا فاعتزل ملكنا فقد شبنا [17] ، ولك من الأموال ما لا تفقد معه شيئاً كنت فيه من نعمتك . فشاور نصحاءه في أمره فقالوا: لا طاقة لك بقومك، وقد اجتمعت كلمتهم على خلعك وهم على غير دين يفهمونه. هذا والروم لا تعرف النصرانية، وهي تعبد الأوثان على جاهليتها. قال : فما الحيلة؟

قالوا تستأذن لتحج إلى بيت المقدس [18] ثم تطلب ديناً من أديان الأنبياء فتدعوهم إليه وتحملهم عليه [19] ، فإنهم يفترقون فرقتين ، فرقة تصير معك على دينك وأخرى تشذ عنك ، فتقاتل من عصاك بمن أطاعك، فإنك تظهر عليهم [20] ، لأن كل قوم قاتلوا على دين فهم غالبون .

قال قسطنطين للروم : انتظروني أحج إلى بيت المقدس ، فدعا اليهود والنصارى ، فتناظروا بين يديه ، فاختار النصرانية . قال: وتنصر هو وجماعة من معه ، ثم رجع إلى بلاد الروم ومعه الرهبان والشماسة والأساقفة ، فدعا الروم إلى النصرانية ، فأجابه أكثرهم ، فقاتل من عصى ، فظفر بهم واحرق كتب حكمتهم وهتكها وبنى البيع [21]، وحملهم على النصرانية بالسيف وبنى قسطنطينية [22] لنفسه وخاصته ، وكانت دار ملكهم رومية [23] وغلبت النصرانية على الشام والروم حتى ظهر الإسلام. [24]

وحكي أن العرب لما غلبت على بعض أرض الشام واشتد أمرها على الروم ، أتت الروم ملكها قيصر وهو عليل قد أشرف على الموت ، فقالت له الروم: قد علمت مالنا بالعرب من طاقة ، وما نحن بعرضه منهم من ذهاب أمرنا وعلتك أشد علينا من ذلك ، فأوصنا . قال قيصر: إن العرب قوم كانوا بؤس شديد ، يعيشون في الفيافي من حلب الناقة والشاة ويتحرشون الضباب [25]، وقد رأوا ما أنتم فيه من رفاهة العيش ولين الملابس وطيب الطعام وحسن المناكح [26]. وقد وعدهم نبيهم أن لمن قتلنا منهم قصور الذهب والفضة وحياة الأبد ، فهم كلما لقوكم حرصوا على الموت وكلبوا [27] لما انتم فيه من النعيم ، وأنتم تحرصون على الحياة لطيب ما ترجعون إليه ، فهم يهزمونكم . ثم أغمي على قيصر ، فظنت أنه قد مات فأعولت عليه [28] وبكت عنده ، فأفاق، فقالت: ياسيدهم إنا شاورناك في أمر العرب فزدتنا منهم رعباً؟ قال: صدقتكم عنهم. قالوا : فما الرأي ؟ قال خلوا لهم عن بعض بلادكم وأرفقوا بهم، وادفعوهم بالحرب قليلاً ، حتى يموت منهم من شاهد نبيهم وينالوا من طيب العيش مانلتم فيكرهون الموت مثل كراهتكم ، ثم ضعوا بينكم وبينهم حداً ، وقاتلوهم عليه فإنهم لا يحوزونه أبداً . ففعلت الروم ذلك ، ووضعت بينها وبين العرب جبل الدرب[29] وقاتلت عليه ، فبقي الحد إلى هذه الغاية.

وحكي أن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه ومعاوية لما التقيا بصفين [30] فدامت الحرب بينهم ثلاثة أيام ، وظهر [31]أصحاب علي (كرم الله وجهه) على أصحاب معاوية، وخاف معاوية على أصحابه ونفسه، فهم

بالهرب، فدعا عمرو بن العاص [32] فشاوره . قال له عمرو: ترفع المصاحف على الرماح وتدعو أصحاب علي إلى ما في كتاب الله.

قال معاوية: ويحك يا عمرو ومثل علي ترفع المصاحف ويناظر في الدين والكتاب؟

قال عمرو: إن أصحاب علي يقاتلون معه ديانة وأصحابك يقاتلون معك على الدنيا ، وإنك متى رفعت لأصحاب علي المصاحف تحرجوا من قتالك وتشعبت بينهم التأويلات في ديانتهم ، ولم يزدد أصحاب علي إلا افتراقا ، ولم يزدد أصحابك إلا اجتماعا. فأمر معاوية بالمصاحف فرفعت على الرماح ، ونادى أصحاب معاوية أصحاب علي ندعوكم إلى ما في كتاب الله . قال علي: ويحكم إن الجراح والقتل قد كثر فيهم، وإنما احتجزوا منكم بهذا، وليس لهم في كتاب الله حجة.قالوا له: لا نقاتلهم حتى نناظرهم وأبوا عليه القتال.

وكان (الأشتر)[33] في وجوه القوم في ثلثماية رجل من قومه يضربون بالسيوف حتى قربوا من مضرب معاوية [34]. فقال أصحاب علي : ابعث إلى الأشتر فرده وأمسك العسكر : فبعث إليه علي يأمره بالانصراف فأبى ، وقال: قد قربت من مضرب معاوية . فقال أصحاب علي لعلي: إما أن ترد الأشتر وإلا أسلمناك [35] وصرنا إلى معاوية ، لأنه قد دعا إلى كتاب الله. فبعث علي الحسن ابنه [36]رضي الله عنه إلى الأشتر فرده ، وأمسك بالعسكر عن الحرب ، ووقعت المناظرة بين علي وبين معاوية.

ثم أن المناظرة لما وقعت بينهما في حديث يبعث علي رضي الله عنه حكماً ومعاوية حكماً ، فحكم علي (أبا موسى الأشعري) [37]، واجتمع الناس بـ (دومة الجندل)[38] ، وحكم معاوية عمرو بن العاص . فلما تشاهدوا على ذلك وكتبت الكتب بينهما خلا أبا موسى وعمر يتناظران ، فمكثا عدة أيام يقدم عمرو أبا موسى في الصلاة والمدخل والمخرج وجميع الأحوال ، حتى جرى الأمر على تقديم أبي موسى على عمرو بن العاص. ثم تناظرا فاتفقا على أن يخلع كل واحد صاحبه وتعاهدا وتعاقدا على ذلك . فاجتمع الناس في يوم استعدوا له، ليسمعوا من الحكمين ما اتفقا، فلما دنا أبو موسى عليه وعمرو من

المنبر قال لعمرو: اصعد فاخلع معاوية. قال عمرو: أنت تعلم أني لم أتقدمك في شيء، فتقدم، فتقدم أنت واخلع صاحبك، حتى أتلوك فأخلع صاحبي. فصعد أبو موسى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال: قد خلعت علياً من هذا الأمر كما خلعت نعلي من رجلي، وخلع نعليه[39]، ثم نزل. فصعد عمرو ابن العاص ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم قال: قد أقررت معاوية في هذا الأمر كما أقررت خاتمي في اصبعي ، فأدخل اصبعه في خاتمه. فافترق أصحاب علي على ثلاث فرق ، ففرقة أقامت على طاعته ، وهم الشيعة. وفرقة مالت إلى معاوية رغبة في الدنيا . وفرقة قعدت وقالت: لا حكم إلا لله ولو كره المشركون، ولا تحكيم في أمر الله، وهم الخوارج[40].فأول من حكم (أبو بلال مرداس بن أدية التميمي)[41] فتكرهت الخوارج علياً ومعاوية جميعاً . وإنما سميت (الحرورية) لأنهم اعتزلوا عسكر علي بالكوفة ، ونزلوا بقرية يقال لها (حرورا)[42].

وحكي أن الطالبي المعروف بالكوكبي [43] لما طابق (ابن حسان) صاحب الديلم[44]، أقبلا إلى الري[45] فأناخا بها ، وحاصرا أهلها ، وكان عند أهل الري امرأة الكواكبي ، ومعها صبيان له منها. فلما اشتدت الحرب بينهم أياماً خرج رجل من أهل الري إلى الديلمي بأمان ، فاستخلاه [46] ، فلما خلا به قال له الرازي [47] : إن الكواكبي قد كاتب أهل المدينة أن يطلقوا له امرأته وولده ومالئهم عليك . وأهله وولده يخرجون إليه في هذه الليلة ، فخذ حذرك ، فخاف الديلمي مما قال له الرازي، وجعل يدور بالمدينة بنفسه ، وانصرف الرازي إلى قومه فأخبرهم بما قال للديلمي ، فأخذوا امرأة تشبه امرأة الكوكبي ومعها صبيان ، فأخرجوا من باب المدينة ، فوقعوا في بيد ابن حسان، فظن أن الرازي نصحه ، ووجد مع المرأة كتاباً من أهل الري إلى الكوكبي أنا قد وفينا لك بما حالفناك وعاهدناك عليه ، فاوف لنما بما وعدتنا من الغارة على ابن حسان . وجاء الرجل الذي نصح لابن حسان إلى امرأة الكوكبي ، فقال لها:

إن ابن حسان قد كاتب أهل الري على أن يثبوا بزوجك فيجتاحوه في هذه الليلة المقبلة ، فاكتبي إليه بخطك كتاباً اعلميه ذلك . قالت : ومن يوصله إليه؟
قال الرجل: أنا أخرج جاريتك من سور المدينة حتى تمضي إليه. فكتبت المرأة إلى زوجها تعلمه أن فلاناً خبّرها بكذا ، وإن القوم على بابه ، . فوصل الكتاب إليه فبات على حذر . فلما وقعت المرأة على ابن حسان ، قال لها من أنت؟
قالت : فلانة زوجة الكوكبي. فخرج نحو الكوكبي ليعاتبه ، فلما شعر به الكوكبي تصايح أصحابه بالسلاح ونشبت الحرب بينهم بالليل، وصح عند كل واحد منهما ماقيل له ، فهرب الكوكبي بالليل ، ومضى ابن حسان أيضاً هارباً لوجهه[48].

الباب الثامن: في التدبير

ـ التدبير على مفسد أو مستعصي:

حكي أن أبرويز كسرى [49] لما هزم ملك الروم [50] كتب إلى قائده الذي كان قد أدهن عليه [51] يجزيه خيراً ومن معه من الجند ، ويعدهم البر والزيادة في أرزاقهم. فعلم القائد أن الذي فعل من تخلية الطريق لملك الروم لم يخف على أبرويز [52]، وأن كتابه إليه إنما هو استدراج منه له ، فكتب على لسان كسرى الى الجند بغير ما كتب له كسرى من الشتم لهم والوعيد والتهديد ، وكتب إلى ابرويز عنهم كتاباً غليظاً ، فأفسد قلوب الجند على ابرويز وافسد قلب ابرويز على الجند الذين كانوا معه في وجوه الروم . وكان ابرويز قد تغير لرعيته وساء خلقه فأبغضوه جميعاً . وكان قد عتب على ابنه شيرويه [53] ، فحبسه في حصن نايل من المدائن [54] مستقر كسرى على بعد ... فرسخاً ، فكتب كسرى الى صاحبه الذي في وجوه الروم والى جميع من معه من الجند بالقفول حذراُ من (مفاسدهم) وأحب مشاهدتهم ليصلح قلوبهم ووجه في موضع هذا القائد رجلاً من جملة الفرس ووجه معه اكثر الجند فخلا بابه منهم إلا اليسير من الجند فقدم القائد الأول ومن معه من الجند وقلوبهم فاسدة فمالوا

الى شيرويه ابن ابرويز فأخرجوه من حبسه وبايعوه على الفتك بأبيه وثم ساروا نحوه وكان ذلك سبب قتل ابرويز[55].

وكان ابرويز الى عامله في اليمن بأشخاص رسولاً فوجه عامله الى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رسلاً وهو بالمدينة . فلما ورد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالوا له: إن ربنا ـ يعنون كسرى ـ أمرنا أن نشخصك إليه . فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إن ربي أعلمني أن كسرى وثب على أبيه فقتله البارحة ، فارجعوا إلى صاحبكم ، فأعلموا صاحب اليمن بذلك الخبر ، فحفظوا تاريخه ، فأتاهم الخبر بأن شيرويه قتل أباه أبرويز في تلك الليلة التي ذكرها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (56).

وحكي أن بقية المحمرة [57] لما انهزمت من الجبل مرت بـ (أرمينية) ثم انحازت إلى ملك الروم ، فأكرمهم واصطنعهم ، فغلظ ذلك على أهل الثغور[58]. وكانت المحمرة الذين وصلوا إلى ملك الروم نحو من عشرة آلاف رجل، أكثرهم فرسان. وكان على الثغور (محمد بن يوسف) المعروف بـ (أبي سعيد ذي العلمين) [59] فدس رجلاً من قبله من أهل الجبل بكتاب على لسان المحمرة إلى أبي سعيد يسألونه الأمان ، على أن يثبوا بملك الروم في وقت الحرب من خلفه ، وغرضه أن يقع في يد ملك الروم ، فلما وقع الكتاب في يد ملك الروم حذر المحمرة وتنكر لهم ، فحذروه . وكتب إليهم أبو سعيد كتاباً بالأمان فوقع الكتاب أيضاً في يد الملك فزاده وحشة منهم ، ولم يبد لهم مافي نفسه تخوفاً من أن يحسبوا أنه قد خافهم ، ثم طلب عليهم عثرة وتجنى عليهم ، فحاربهم ، فقتلهم أجمعين.

وحكي أن رجلاً من مدينة السلام يقال له (سهل بن سلامة) [60] خرج في جماعة من غوغاء أهل مدينة السلام ، فأغواهم بأن وسم نفسه بالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر فعظم شأنه، والمأمون [61] بمرو [62] ، فبلغه خبر سهل ـ فدعا ثمامة بن أشرس [63]، فقال له : إن رجلاً خرج من بغداد في نحو من (خمسماية) خمسمائة رجل يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فما ترى؟

قال ثمامة : يا أمير المؤمنين هذا خطب جليل ينبغي أن يتلافى. ثم دعاه المأمون بعد مدة ، فقال: يا ثمامة إن الرجل قد صار في ألف . قال : هذا خطب جليل هائل مخوف. ثم دعاه بعد مدة وقال : يا ثمامة أن الرجل في مدينة السلام قد صار في خمسة ألاف رجل . قال ثمامة : هذا أمر قد ضعف فلا تحفل به . فقال له المأمون: كيف استعظمت حاله في خمسمائة وفي ألف وقد استضعفتها في خمسة ألاف ؟

قال ثمامة : لأني ظننت أن مخرجه ومن معه بقصد الدين فراعني ، فلما كثر أصحابة علمت أن خمسة ألاف رجل لا يجتمعون على نصرة الدين في مثل هذه السرعة وأن أصحابة غوغاء.

فلما دخل المأمون مدينة السلام[64] أمر بسهل، وكره أن يقدم عليه بعقوبة فيفسد قلوب أهل الديانة والرعية. ثم أمر أن يستعمل سهل على صدقات الجبل[65] فلما وليها سقطت حاجته عند أهل الديانة والعامة ثم وجه خلفه لما خرج إلى الجبل من حاسبه وتتبع عمله فأظهر خيانته. وأمر المأمون بقيد سهل وحبسه بالجبل حتى مات في حبسه .

هوامش وإحالات:

(١) د.علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، بغداد 1986م، ص85.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) د. شوقي ضيف، البحث الأدبي، القاهرة 1983م، ص210-211.

(٤) وردت ترجمته في :

- إرشاد الأديب، 20: 7
- الوافي بالوفيات، 337: 1
- بغية الوعاة ، ص 63
- فهرس المؤلفين، ص 253
- معجم المؤلفين 211: 10
- يتيمة الدهر ، الثعالبي45: 2
- بغية الوعاة ، السيوطي، 63

ـ كشف الظنون، الصفحات: 691، 1197، 1428، 1444، 1555، 1579، 1973.

ـ هدية العارفين، 64: 2.

(٥) أصبهان : مدينة في بلاد فارس ، ورد في (معجم البلدان) أن اسمها فارسي مركب من كلمتين (أصب) وتعني (البلد) و(هان) ومعناها (فارس) ، لتكون دلالة اسمها بلاد الفرسان.

(٦) ورد أنه توفي سنة 420هـ . ينظر: الزركلي ، الأعلام ، 92: 7.

(٧) ينظر : المصدر نفسه.

(٨) حول عنوان الكتاب، ينظر: مقدمة المحقق (أحمد عبد الباقي)، ص 5 وما بعدها.

(٩) ينظر المصدر نفسه.

(١٠) المصدر نفسه ، ص17.

(١١) قام الأستاذ (أحمد عبد الباقي) بتحقيق الكتاب وطبعه في بغداد العام 1964م، وأعيد إصدار الكتاب بالتحقيق نفسه العام 1979م عن دار الكتب العلمية ببيروت. ولكن تحقيقه لم يستوف الشروط العلمية المعتمدة في هذا المجال

(١٢) قسطنطين : هو أحد ملوك الروم البيزنطيين ، ومؤسس عاصمة ملكهم (القسطنطينية) التي سميت على اسمه وقد بناها في سنة 324م ، وهي السنة التي توج فيها إمبراطوراً وكانت تسمى أيضاً روما الجديدة .

(١٣) الروم : بلاد الروم : جبل معروف في بلاد واسعة تضاف إليهم فيقال بلاد الروم ، واختلفوا في أصل نسبهم فقال قوم : أنهم من ولد روم بن سماحيق بن هرينان بن علقان وقال آخرون إنهم من ولد روميل بن الأصفر بن اليغز بن العيص بن اسحاق .. وقال الازهري : الروم جيل ينتمون الى عيصو بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام ، وقال الجوهري : الروم من ولد روم بن عيص .. وقال ابن الكلبي عن ابي يعقوب التدمري : انما سميت الروم لأنهم كانوا راموا فتح دمشق ففتحوها وقتلوا أهلها ، ينظر: معجم البلدان ، 3 /97 .

(١٤) الوضح : البرص .

(١٥) شان وجهه : عابه وشوهه.

(١٦) حسبك : يكفيك.

(١٧) فقد شبنا: في العبارة خلل، وقد يكون المقصود (قد شبت).

(١٨) . هناك اضطراب في الخبر إذ كيف يحج الملك وهو مايزال على دين الوثنية ؟!

(١٩) تحملهم عليه : تجبرهم على القبول به.

(٢٠) تظهر عليهم : تنتصر.

(٢١) البيع: معابد النصارى ومفردها بيعة.

(٢٢) اعتنق قسطنطين الديانة المسيحية وجعلها الديانة الرسمية لمملكته ومنع الديانة الوثنية (ينظر: الإمبراطورية البيزنطية ، ص 342). ويطلق لقب قيصر على كل ملك من ملوك الروم وكان أخرهم (هرقل) الذي حارب الفرس وأنتصر عليهم.

(٢٣) رومية : هي عاصمة بلاد الروم التي سميت لاحقاً بالقسطنطينية.

(٢٤) هناك اضطراب في سياق الحكاية ووقائعها، فالقيصر يستشير الآخرين في موقف يخصه، في حين لا يفعل مثل ذلك في أمور تخص الدولة عموما أورد الكتاب بعضها.وسوف نجد أن هذا القيصر ذاته هو الحكيم الذي لجأ قومه إلى حكمته في أمر المسلمين ويتبين من الوقائع أنه وقومه كانوا على غير دين ، فكيف يقول الملك أنه سيذهب إلى بيت المقدس ليحج ؟ وعموماً فإن القصة تبدو أقرب إلى صنيع المخيلة الشعبية.

(٢٥) الضباب : جمع ضب وهو من حيوانات الصحراء ويحترش الضباب يصطادها.

(٢٦) المناكح : نكاح النساء .

(٢٧) كلبوا : حرصوا وطمعوا . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كلب)

(٢٨) اعولت : تعالى صراخهم .

(٢٩) جبل الدرب : مدخل بلاد الروم من خلال جبال طوروس .

(٣٠) صفين: موقع على شاطئ الفرات قرب مدينة الرقة السورية وقعت عنده الحرب بين جيش الإمام علي وجيش معاوية.

(٣١) ظهر عليه : تفوق وانتصر.

(٣٢) عمرو بن العاص : ...

(٣٣) الأشتر : هو مالك بن الحارث النخعي من قادة جيوش الامام علي وكان من فرسان العرب في صدر الإسلام حيث شارك في معركة اليرموك ومعركة الجمل وفي صفين كانت له مواقف مشهودة قد ولاه الامام علي على مصر ولكنه توفي وقيل شرب عسلاً مخلوطاً بالسم قبل وصوله إليها .ومات في سنة 38هـ. ولقب بـ (الأشتر) لإصابة لحقت في معركة ليرموك فقد أحدى عينيه بسببها. (ينظر: الإصابة ، ص 838) .

(٣٤) مضارب معاوية : مقر قيادنه حيث كان يوجد هو .

(٣٥) أسلمناك : خذلناك

(٣٦) الأمام الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام): أكبر أولاد الأمام علي ، بويع بالخلافة في الكوفة من قبل كثير من أنصاره الذين خذلوه بعد ذلك ، مما أضطره إلى الصلح مع معاوية .

(٣٧) أبو موسى الأشعري : هو عبد الله بن قيس من قبيلة بني الاشعر القحطانية اليمانية من أوائل المسلمين ومن المهاجرين الى الحبشة . ولاه عمر بن الخطاب على البصرة وولاه عثمان الكوفة وبقي عليها في زمن الامام علي .

(٣٨) دومة الجندل: قرية تقع في بلاد الشام . ينظر : معجم البلدان للحموي.

(٣٩) لم تذكر كتب التاريخ هذه العبارة ، وإنما أوردت قوله أنه يخلع علياً كما يخلع خاتمه ينظر: مروج الذهب 32/2 ، الطبري 39/6، وابن الاثير 142/3.

(٤٠) الخوارج : سموا بذلك لانهم خرجوا عن جيش الامام علي وحاربوه في معركة النهروان وأنتصر عليهم . وعروة بن ادية وأخوه أبو بلال مرداس كانوا من بين قادتهم وأوائل الذين خرجوا من جيش الإمام .

(٤١) مرداس بن أدية : هو أبو بلال مرداس بن أدية (بالتصغير) من قادة الخوارج الذين قاتلوا جيوش يزيد بن معاوية وانتصروا عليها في أكثر من معركة.

(٤٢) حرورا : ورد عنها في (معجم البلدان) ما يلي : " يجوز أن يكون مشتقاً من (الريح الحرور) وهي الحارة ، وهي بالليل كالسموم بالنهار.. قيل هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل على موضع ميلين منها . نزل بها الخوارج الذين خالفوا الإمام علي بن أبي طالب(ع)، فنسبوا إليها "

(٤٣) الكواكبي : لم أعثر عن خبره في المصادر .

(٤٤) الديلم : أحد الأقوام التي سكنت بلاد فارس.

(٤٥) الري: أحد أقاليم بلاد فارس.

(٤٦) استخلاه : طلب أن يكلمه منفرداً

(٤٧) الرازي : لم أعثر على خبره.

(٤٨) تبدو أحداث هذه الواقعة أقرب إلى مافي حكايات ألف ليلة وليلة من المقالب والحيل.

(٤٩) كسرى أبرويز : من ملوك الفرس المتأخرين .

(٥٠) ملك الروم : لم تحدد الرواية أيا من ملوكهم .

(٥١) أدهن عليه : أخفى عليه الأمر .

(٥٢) أخلى الطريق لملك الروم : سمح له بالهرب .

(٥٣) شيرويه : ابن كسرى أبرويز.

(٥٤) المدائن : ذكر في (معجم البلدان) أن أول من اختط مدينة في هذا الموضع هو (أردشير بن بابك) ... ولم أر أحد ذكر لم سميت بالجمع. والذي عندي فيه أن هذا الموضع كان سكن الملوك من الأكاسرة الساسانية وغيرهم . وكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك.

(٥٥) ورد في المخطوطة نفسها (ص 237) الخبر الآتي: " وقيل إن كسرى قال له منجموه : إنك تقتل ، قال : لأقتلن الذي يقتلني .فأمر بسم فخلط ي أدوية ، ثم كتب عليه : دواء للجماع مجرب ، من أخذ منه وزن كذا جامع كذا وكذا مرة ، وجعله في خزانة الطب فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزانته مر به ، فقال لنفسه : بهذا الدواء كان يقوى على شيرين. فأخذ منه فأكله ، فأصبح وهو ميت "

(٥٦) ينظر: الخبر في السيرة النبوية لابن هشام ، ص336 .

(٥٧) المحمرة : هم أتباع بابك الخرمي الذي ظهر في عهد المأمون في بلاد فارس وأستطاع أن يفرض سيطرته على المناطق الجبلية في إيران وبقي الى عهد المعتصم حيث أرسل أله جيوش قاتلته وانتصرت عليه .

(٥٨) الثغور ، ومفردها (ثغر) ، وهي كل موضع قريب من أرض العدو ، كأنه مأخوذ من (الثغرة) وهي الفرجة في الحائط . وهي مواضع كثيرة.

(٥٩) ذو العلمين: المعروف بـ (بأبي سعيد الثغري) من قواد المعتصم. وسمي الثغري لأته كان من قادة الجيش العباسي الذين خاضوا حروباً كثيرة على حدود الدولة. وهو ممن مدحهم أبو تمام .

(٦٠) سهل بن سلامة: يرد ذكره لدى الطبري أنه ظهر في بغداد سنة 201 هـ، فدعا الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلق مصحفاً في عنقه، وصار له عدد كبير من الأتباع.

(٦١) المأمون : هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور العباسي ، ابو العباس ، سابع الخلفاء من بني العباس من العراق ، واحد أعاظم الملوك في سبرته وعلمه وسعة ملكه ، نفذ أمره من أفريقية إلى أقصى خراسان وما وراء نهر السند ، ولى الخلافة بعد خلع أخيه الأمين سنة 198هـ ، توفي سنة 208هـ ، ودفن في طرطوس (ينظر الاعلام ، 4: 287) .

(٦٢) مرو: قيل هي الحجارة البيض التي يقتدح بها . وهي اسم لمدينتين في بلاد فارس، هما : مدينتان (مرو الروز) أي مرو النهر، و (مرو الشاهجان) ، وهي العظمى - وأشهر مدن خراسان.

(٦٣) ثمامة بن أشرس : من كبار المعتزلة وكان فصيحاً بليغاً كان مقرباً من الخلفاء لاسيمّا الرشيد والمأمون الذي تأثر بآرائه في الاعتزال و هو راس مدرسة اعتزالية تسمى(الثمامية) وقد قتله الواثق حين توليه الخلافة سنة 327هـ .

(٦٤) هي مدينة بغداد وقد دخلها المأمون سنة 199هـ، بعد مقتل أخيه الأمين.

(٦٥) الجبل : الاسم الذي كان يطلق على المنطقة الغربية من بلاد فارس التي تجاور العراق ، وتسمى (دينور) (ينظر عبد الباقي .وينظر مصدره).

المصادر والمراجع

❖ **ابن الأثير، علي بن أبي الكرم :**

١. الكامل في التاريخ، تحقيق نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت 1980م.

❖ **ابن حجر، احمد بن علي:**

٢. الإصابة في تمييز الصحابة، مطبعة السعادة بمصر القاهرة 1328م.

❖ **الحموي، ياقوت:**

٣. معجم البلدان، بيروت د.ت

❖ **الزركلي ، خير الدين :**

٤. الأعلام، بيروت 1969م.

❖ **ضيف ، د. شوقي :**

٥. البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة 1983م

❖ **الطاهر، د.علي جواد :**

٦. منهج البحث الأدبي، المكتبة العالمية، بغداد 1986م.

❖ **الطبري، محمد بن جرير:**

٧. تاريخ الأمم والملوك، مكتبة خياط، بيروت د.ت.

❖ **عبد الباقي ، أحمد:**

٨. كتاب لطف التدبير، (تحقيق وتعليق)، دار الكتب العلمية، بيروت1979م.

❖ **المسعودي ، أبو الحسن:**

٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق وتنقيح شارل بلا، بيروت، د.ت

❖ **ابن منظور، جمال الدين بن مكرم:**

١٠. لسان العرب، دار صادر، بيروت د.ت

❖ **ابن هشام ، عبد الملك :**

١١. السيرة النبوية، ضبط وتحقيق رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة 2005م.

❖ **عوض، د.محمد مؤنس:**

١٢. الإمبراطورية البيزنطية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة 2007م.

Manuscript (Lutf AL-Tedbair) for khatib AL-Eskafi

(Section seven & section eight)

Prof.phd.Ali Hedad
Center revival of Arabian scientific heritage
Baghdad University

(Abstract)

This manuscript – which- I `ll discuss tuvsection of is one of the most useful & important literary manuscript. It contains news, events & experiences that happened in the history of humanity.

I explained its scientific foundation by rereading it & correct what it needed, also, explained semantics vocabulary& the names of cities.

The aim of this study is:

- Serving our Arabic heritage& mention it scientific studying.
- Notifie & references to the style of composition.
- Remembering the effort of heritage composition by reading & recalling.
- Application of machanisims for investigation & scientific procedures.
- Inviting annmber of researchers in this field.